﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: 112]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تعالى أَنَّهُمْ: إِنْ قَاتَلُوا؛ رَجَعُوا مَخْذُولِينَ غَيْرَ مَنْصُورِينَ؛ ذَكَرَ أَنَّهُمْ - مَعَ ذَلِكَ - قَدْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ[1].

وأيضًا لَمَّا أَخبرَ عنهم سُبحانَه وتَعالى بِذُلِّ تولية الأَدبارِ عندَ القتالِ ونفي نصرِهِمْ؛ أَتبعَهُ الإِخبارَ: بأَنَّ ذلَّهم عامٌّ في جميعِ الأَحوالِ والأَمكنةِ والأَزمنةِ إِلَّا بعهدٍ منَ اللهِ وعهدٍ منَ النَّاسِ، وأَنَّ المسكنَةَ غيرُ مفارقةٍ لَهم إِلى آخرِ الدَّهرِ معاملةً منهُ لَهم بضدِّ ما أَرادوا، فَعوَّضهمْ عنِ الحرصِ على الرِّئاسةِ إِلزامَهُمُ الذِّلَّةَ، وعنِ الإِخلادِ إِلى المالِ إِسكانَهُمُ المسكَنةَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: الذِّلُّ ضدُّ الصُّعوبةِ، فيَدُلُّ عَلَى الْخُضُوعِ، وَالاسْتِكَانَةِ، وَاللِّينِ والرِّفق، وَمنه ذَلَّت الدَّابَّةُ ذِلًّا: سَهُلَتْ، وَانْقَادَتْ، فَهِيَ ذَلُولٌ، ويقابلهُ العزُّ، فما كانَ منْ جهةِ الإِنسانِ نفسِه لِنفسِهِ؛ فهوَ محمودٌ، وما كانَ منْ جهةِ غيرِهِ؛ فهو بمعنَى: الضَّعفِ والصَّغارِ والهوانِ[3].

والمعنى المحوريُّ: نقص ارتفاع الشَّيء، فيقرب، ويتيسَّر التَّعامل معه: كالطَّريق الموطوء، أَذْهَبَتْ كثرةُ وطئه - أي: السَّير فيه - وُعُورَتَه (نتوءات من صخر أو أحجار أو مَدَر جافٍّ أو رمل وعثٍّ)[4]، ومعنَى (الذِّلّة) في الآيةِ: كلُّ ما تَتَحقَّقُ بهِ الذِّلَّةُ من الصَّغارِ والهَوانِ والانقيادِ كُرهًا والقتلِ والأَسرِ[5].

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/328.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/28.
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، والراغب، المفردات: (ذلل).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (ذلل).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 2/136، والرّازي، مفاتيح الغيب: 8/329.

2) ﴿ثُقِفُوٓاْ﴾: أصلُه: ثَقِفَ، ويدلُّ على تمكُّنٍ يُبْلَغُ به أتقنُ أحوالِ الشَّيءِ وأحكمُها، ومَنْ تمكَّنَ مِنْ شيءٍ أشدَّ التمَكُّنِ ضابطًا لِمَا يَحْوِيه قَائمًا بِهِ؛ فقد ثَقِفَهُ، وَمِنْهُ رَجُلٌ ثَقِيفٌ: سَرِيعُ الْأَخْذِ لِأَقْرَانِهِ، فيُطلقُ الثّقَفُ على الظَّفَرِ بالشَّيءِ والتَّمكُّنِ منه مغلوبًا بعدَ الطَّلبِ والتَّتبُّعِ[1]، و﴿ثُقِفُوٓاْ﴾ في الآية بمعنَى: ظَفِرْتُم بهمْ مَغلوبينَ متَمَكَّنًا منهمْ[2].

3) ﴿بِحَبۡلٖ﴾: الحبلُ يدلُّ على امتدادِ الشَّيءِ، وأَصلُهُ في اللُّغةِ: هو السَّببُ الَّذي يُتوصَّلُ به إلى البُغيةِ، وقدِ اسْتُعيرَ للوصلِ، ولِكلِّ ما يُتوصَّلُ به إلى الشَّيءِ، وحبلُ اللّهِ هو الَّذي معهُ التَّوصُّلُ بهِ إليهِ سُبحانَهُ، مِنَ القرآنِ والعقلِ وغيرِ ذلكَ، كما يقالُ لِلْعَهدِ: حبلٌ[3].

4) ﴿وَبَآءُو﴾: أصلُه: بَوَأَ، ويدلُّ على معنى الرُّجوعِ إِلَى الشَّيْءِ، ومنه باءَ إلى الشَّيءِ: رجَعَ إليهِ، والباءَةُ والمباءَةُ: منزلُ الْقَوْمِ حيثُ يَتبوَّؤونَ مِنْ قِبَلِ وادٍ أَو سَنَدِ جَبَلٍ؛ ليكونَ مرجعًا مُكافئًا لهم، وبَوَّأْتُهُ منزلًا، بمعنى: أنزلتهُ، ثُمَّ استعملتِ الكلمةُ لمعنى الإقامةِ على الشَّيءِ؛ لِيكونَ مكافئًا لِصاحبِهِ.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يحتملُ أنْ يكونَ بمعنى: رجَعَ بغضبِ اللّهِ، وأنْ يكونَ بمعنى: حلَّ مكانًا يقيمُ فيه مكافئًا له، بسببِ عملِه مُلتبِسًا بغضبِ اللّهِ، أي: عقوبتِهِ[4]، و﴿وَبَآءُو﴾ يُستعمَلُ في الشَّرِّ غالبًا[5].

5) ﴿ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾: يدلُّ معنى السُّكونِ عَلَى ضدِّ الحركةِ والاضْطِرَابِ، ومنهُ السَّكِينَةُ، وَهُوَ الْوَقَارُ، وسَكَنَ الشَّيءُ؛ إِذَا ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ، واسْتَكَانَ؛ إذا خَضَعَ؛ لِقِلَّةِ الحيلةِ والعجزِ، والمسكنةُ تدلُّ على معانٍ بحسبِ السِّياقِ هي: القرارُ في موضعٍ والخضوعُ وفقرُ النَّفسِ والحرصُ وَالْحَالُ السَّيِّئَةُ[6].

6) ﴿يَعۡتَدُونَ﴾: يَدُلُّ معنى الاعتداءِ عَلَى تَجَاوُزٍ فِي الشَّيْءِ وَتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ، والعُدُوُّ: هو التَّجاوز ومنافاة الالتئام، يُقَال: تعدِّيت الحقَّ واعتديت، وعَدَوته أي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ثقف).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/92.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: 1/217.
(4) الأزهري: تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (بوأ).
(5) الرّازي، مفاتيح الغيب: 3/354.
(6) الراغب، تفسير الراغب: 2/799، وابن منظور، لسان العرب، جبل، المعجم الاشتقاقي: (سكن).

جاوزته، والعاديُّ: الظَّالم، والاعتداء والتَّعدِّي والعُدْوان، بمعنى: التَّجاوز على حقِّ الآخر إلى الظُّلم[1].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

جعلَ اللّه الهوانَ والصَّغارَ وصفًا لا يفارقُ اليهودَ، فهمْ أَذلَّاءُ محتقَرونَ حيثُما وُجدوا، وفي جميعِ أَحوالِهم، إلَّا بعهدِ الإسلامِ أَو ما قرَّرتْه الشَّريعةُ؛ إذا دخلوا في حكمِها مِنَ المساواةِ في الحقوقِ والقضاءِ، وتحريمِ الإيذاءِ، وعهدٍ منَ النَّاسِ، وهو ما تقتضيه المشاركةُ في المعيشةِ مِن احْتياجِهم إليكم، واحتياجِكم إليهم فى بعضِ الأمورِ، وصاروا مستحِقِّينَ غضبَ اللّهِ مستوجبينَ سُخطَهُ، وأَحاطتْ بِهِمُ المَسكنَةُ والصَّغارُ، واستحقاقُهُمْ للغضبِ الإلهيِّ بسببِ كُفرِهمْ باللّهِ، وقتلِهمُ النَّبيِّينَ ظُلمًا وعُدوانًا، وما جَرَّأَهم على ذلكَ إلَّا سبقُ المعاصي، واعتداؤُهم على حدودِ اللّهِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِهِ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾:

تمكُّنُ الذِّلَّةِ في اليهودِ وإحاطتِها بهم أَينَما ثُقِفُوا

جاء الكلامُ على طريقةِ الاستعارةِ التَّبعيَّةِ المكنيَّةِ؛ إذْ شبَّهَ تثبيتَ الذِّلَّةِ عليهمْ بضربِ القُبَّةِ الثَّابتةِ على المضروبِ عليهِ، بمعنَى: أحاطتْ بِهِمُ الذِّلَّةُ بإحكامٍ، واشتملتْ عليهمْ، فلا مخرَجَ منها، وهيَ مقتصِرَةٌ عليهم لا تَتَجاوزُهُمْ، وَوَجْهُ الشَّبهِ الإحاطةُ والشُّمولُ، فالمستعارُ منهُ: ضربُ الخَيمةِ وما شاكلَها، وهوَ أَمرٌ حسِّيٌّ، والفعلُ المستعارُ هو: ﴿ضُرِبَتْ﴾، والمُستعار لهُ: التَّثبيتُ، وهوَ أَمرٌ عقليٌّ، فالاستعارةُ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ، معنى الكنايةِ: عنْ كونِ الذِّلَّةِ ملصقَةً بهِمْ ثابتةً غيرَ مفارقَةٍ لَهمْ محيطةً بهمْ كإحاطةِ القُبَّةِ بِمَنْ ضُرِبَتْ عليه[3]، وذكرَ حرفَ الاستعلاءِ (على)؛ لإفادةِ تمكُّنِ الذِّلَّةِ عليهمْ، واستيعابِها لَهم، وفي التَّعبيرِ بِضربِ الذِّلَّةِ عليهم إشعارٌ بِعِزِّ الإيمانِ وأَهلِهِ.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عدَوَ).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 4/32.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/33، والخفاجي، عناية القاضي: 2/169، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/55.

إيثارُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في قوله: ﴿ضُرِبَتْ﴾:

القطعُ بوقوعِ الذِّلَّةِ على اليهودِ ودوامِها

لمَّا كان الشَّرطُ على معنى المستقبلِ؛ أفادَ أنَّ الضَّربَ - الواقعَ جوابًا للشَّرطِ - على معنى المستقبلِ؛ لإفادة الدَّوامِ؛ كلَّما تحقَّقَ الشَّرطُ، وجيءَ بالفعلِ بصيغةِ الماضي لإفادةِ القطعِ بوقوعِ ضربِ الذِّلَّةِ عليهم، والمعنَى: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ، وَحَيْثُمَا ظُفِرَ بِهِمْ في المستقبلِ؛ تُضْرَب عَلَيْهِم[1].

بلاغةُ الشَّرطِ في قوله: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾:

تأكيدُ ضربِ الذِّلَّةِ وتقريرُهُ

تحتملُ جملةُ الشَّرطِ أَنْ تكونَ محذوفةَ الجوابِ، كما هو مذهبُ نحَّاةِ البصرةِ، وتحتملُ أنْ تكونَ جملةُ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ هي الجوابَ، كما هو مذهبُ نحَّاةِ الكوفةِ.

وعلى القولِ الأَوَّلِ؛ فقد سُلِكَ في الشَّرط حذفُ جوابِهِ؛ لِدلالةِ ما قبلَهُ عليهِ في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾، والمَعنى التَّقديريُّ: (ضُرِبَتْ عليهمُ الذِّلَّةُ، أَينما ثُقِفُوا؛ ضُرِبَتْ عليهمُ الذِّلَّةُ) فالكلامُ على تقديرِ تَكرارِ ضربِ الذِّلَّةِ عليهم؛ إذْ ذُكِرَ أوَّلًا، وقرَّرَهُ، بصيغةِ الماضي، ثُمَّ جاءَ بالشَّرطِ؛ لِيفيدَ ضَربَ الذِّلَّةِ في المستقبل كذلك؛ لِأنَّ الشَّرطَ على معنَى المستقبلِ كَمَا تقدَّمَ، ولَمَّا كانَ الشَّرطُ يقتضي جوابًا؛ قُدِّرَ ما ذُكِرَ أوَّلًا، فأفادَ تكرارَ ضربِ الذِّلّةِ عليهم، في الماضي والمستقبلِ؛ لِيفيدَ التَّكرارُ تقريرَ الأمرِ وتأكيدَهُ وعمومَهُ.

وعلى القولِ الثَّاني: يكونُ قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ هو الشَّرطَ، فلا تكرارَ في الفعلِ، ولكنَّ تقديمَ فعلِ الشَّرطِ على جوابِهِ لا يخلو مِنْ تأكيدِ ضَربِ الذِّلَّةِ وتقريرِهِ كذلكَ، فيكون المآلُ واحدًا على التَّقديرين، وإنْ كانَ الأبلغُ التَّقديرَ الأوَّلَ.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 3/305.

دلالة أداة الشرط (أَيْنَمَا):

ضربُ الذِّلَّةِ على اليهودِ في عمومِ الأماكن وعمومِ الأحوالِ

تفيد (أَيْنَما) عمومَ الشَّرطِ في الأمكنة، والمعنى: ضُرِبَتْ عليهمُ الذِّلَّةُ في أَيِّ مكانٍ تثقفونَهم، ولمّا كانَ عمومُ الأمكنةِ يستلزمُ عمومَ الأحوالِ؛ أفادَ ضربَ الذِّلَّةِ عليهم في جميعِ الأماكنِ الَّتي تثقفونَهم فيها، وفي عامَّةِ الأَحوالِ[1].

مناسبةُ التَّعبيرِ بكلمةِ ﴿ثُقِفُوٓاْ﴾:

ضربُ الذِّلَّةِ عامٌّ لكلِّ مَنْ يظفرُ باليهودِ

لَمَّا كانَ اليهودُ معروفين بخداعِهم وتفلُّتِهم؛ كانتْ كلمةُ ﴿ثُقِفُوٓاْ﴾ هي المناسبةَ للمقامِ؛ لِمَا في الكلمةِ مِنْ معنى الوجودِ عَلَى وجهِ الْأَخذِ والغلَبَةِ والظَّفرِ بهم والتَّمكُّنِ منهم مقهورين بعد الطَّلبِ والتَّتبُّعِ، و﴿ثُقِفُوٓاْ﴾ في الْأَصْلِ بمعنى: أُخِذُوا في الْحَرْبِ، وجاءت هنا على معنى: عمومِ الأمكنةِ، وجاءَ الفعلُ على صيغةِ المبنيِّ للمفعولِ؛ لِلإشعارِ بأنَّ ضربَ الذِّلَّةِ ليس مختَصًّا بأَنْ يجدَهمُ المؤمنونَ، بل هو عامٌّ لكلِّ مَنْ يثقفهم، كما أنَّ في الكلمة إشعارًا بمدحِ مَنْ يثْقَفُهُم بأَنَّهُ حاذِقٌ فَطِنٌ، لتمرُّسِهم في الخداعِ.

دلالةُ الاستثناءِ بينَ الاتِّصالِ والانقطاعِ:

التَّمسُّكُ بعهدِ اللهِ وعهدِ النَّاسِ عزٌّ في الحياةِ

في قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، يحتملُ الاستثناءُ أنْ يكونَ متَّصِلًا، فيكون التَّمسُّك بعهدِ اللهِ وعهد النَّاس مخرجًا لهم من الذِّلَّة إلى العزِّ في الحقوقِ والمعاشِ، وإليه ذهب الزَّمخشريُّ.

ويحتملُ أنْ يكونَ منقطِعًا، فتكونَ الذِّلَّةُ ملصقَةً بهم مطلقًا، لا يخرجونَ منها، وإن تمسَّكوا بعهدِ اللهِ وعهدِ النَّاسِ؛ لِلُصوقِ ذلِّ الكُفرِ بهمْ[2].

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/401، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/33.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 7/71، والرّازي، مفاتيح الغيب: 8/160، والزمخشري، الكشاف: 1/401، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/72، ورضا، تفسير المنار: 4/55.

دلالةُ العطفِ على المُغايَرَة:

مغايرةُ حبلِ اللهِ لِحبلِ النَّاسِ

لَمَّا عطفَ ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ على ﴿بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أفادَ مغايرةَ العهدين: فأفادَ ﴿بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ العهدَ الَّذي قَرَّرَتْهُ شَريعَةُ الإسلامِ لَهُمْ؛ إذَا دَخَلُوا في حُكْمِ المؤمنينَ مِنَ المُسَاوَاةِ في الحُقُوقِ وَالقَضَاءِ وَتَحْرِيمِ إيذَائِهِمْ وَهَضْمِ شَيْءٍ مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَأفادَ ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ العهدَ الَّذي تَقْتَضِيهِ المُشَارَكَةُ في المَعِيشَةِ من الحاجةِ في أمورِ الحياةِ والمعاملةِ[1].

دلالةُ حرفِ العطفِ (الواو):

وجوبُ اجتماعِ العهدينِ لِلخروجِ مِنَ الذِّلَّةِ

الظَّاهرُ أَنَّ الواوَ لِلتَّشريكِ في الحكمِ، كما هو الأصلُ فيها، فتفيدُ وجوبَ اجتماعِ العهدينِ؛ لِيتحقَّقَ لهم الخروجُ مِنَ الذِّلَّةِ إلى العزِّ، وتحتملُ أنْ تكونَ بمعنى: (أَو) على معنَى: أَنَّ الذِّلَّةَ مضروبةٌ عليهم في جميعِ الأَحوالِ، إلَّا في إِحدى حالتينِ:

الأُولى: التزامُهم بعهدٍ مِنَ اللهِ.

والثانية: التزامُهم بعهدٍ مِنَ النَّاسِ[2].

دلالةُ (ال) في قولِهِ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

المؤمنونَ هُمُ النَّاسُ لِكمالِهِمْ في إِنسانيَّتِهم

تدلُّ (الـ) على الاستغراقِ، بمعنَى: عمومِ النَّاسِ؛ لِيشمَلَ العهدَ مِنَ المسلمينَ وغيرِهِمْ، بشرطِ موافقتِهِ لِذلكَ الحبلِ الَّذي مِنَ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، وقد يكونُ منه لجوؤُهم إلى قوَّةٍ غالبةٍ في الأرضِ مِنْ غيرِ المسلمينَ يستظلُّونَ بحمايتِهِمْ، ويستمدُّونَ منهمُ العَونَ والقوَّةَ، كما هو شأنُهم في هذا الزَّمانِ.

وذهبَ بعضُ المفسِّرينَ إلى أَنَّ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ هنا عامٌّ مخصوصٌ؛ إذْ قُصِدَ به خصوصُ المسلمينَ؛ لِلإشارةِ إلى أَنَّ المؤمنينَ هُمُ النَّاسُ لِكمالِهِمْ في إِنسانيَّتِهم بما يتَّصفونَ به من أوصافِ الإيمانِ[3].

---

(1) رضا، تفسير المنار: 4/56.

(2) الراغب، تفسير الراغب: 2/800، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/33، ولجنة من علماء الأزهر، التفسير الوسيط: 2/638.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 5/29، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/240، والقونوي، حاشية على البيضاوي: 7/276.

دلالةُ التَّنكيرِ في قولِهِ: ﴿وَحَبْلٍ﴾:

أَفادَ تنكيرُ ﴿وَحَبْلٍ﴾ تعظيمَهُ وتفخيمَهُ، فأَيُّ عهدٍ يصدرُ منَ اللهِ مأخوذٌ مِنْ كتابِه وشريعتِهِ، أو عهدٍ يصدرُ منَ النَّاسِ في معاملاتِهم وحقوقِهم، لَهُ مقامُ التَّعظيمِ، ويقتضي الالتزامَ بهِ، ولمْ يقلْ: (حبلِ اللهِ) بالإضافةِ، فيكون مُختَصًّا بهِ؛ لأَنَّهُ ذكرَ حبلين.

نُكتَةُ التَّقييدِ بقولِهِ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾:

لَمَّا جاءَ الحبلُ متعلِّقًا بقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ زادَهُ تعظيمًا وتفخيمًا، لِما تفيدُهُ ﴿مِّنَ﴾ الابتدائيَّة من معنى: صدورِهِ مِنَ اللهِ؛ لِلإشعارِ بتدلِّيهِ مِنْ عُلُوٍّ، فهو سببٌ لِلمنعِ مِنَ السُّقوطِ والخذلانِ.

الحبلُ سببٌ للمنعِ من السُّقوطِ والخُذلانِ

ولَمَّا كانوا بحاجةٍ إلى الاطمئنانِ على تجارتِهم وَشؤونِ حياتِهم؛ علَّقَ الحبلَ الثَّاني بـ ﴿مِّنَ﴾ كذلكَ؛ لِلإشارةِ إلى ابتداءِ صدورِهِ منَ النَّاسِ الَّذين يأخذون العهد منهم وعلوِّهم عليهم، وقُدِّم حبلُ اللهِ على حبلِ النَّاسِ؛ لِلاهتمامِ بهِ والعنايةِ بشأنِهِ، فهو أَولى بالالتزامِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِهِ: ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾:

الحبلُ: مستعارٌ لِلعهدِ[1]، وذكرَ الحبْلَ دونَ غيرِه؛ لِأَنَّه لَمَّا كانَ الحبلُ لِمَا يمتدُّ، وكانَ مشدودًا غيرَ قابلٍ للقطعِ غالبًا، وهو سببٌ للوصلِ؛ شبَّهَ العهدَ بالحبلِ بجامعِ الارتباطِ والقوَّةِ والامتدادِ، فالنَّاس يَرْتَبِطُونَ بِالْعُهُودِ، كَمَا يَقَعُ الِارْتِبَاطُ الْحِسِّيُّ بِالْحِبَالِ.

دلالةُ الحبلِ على الارتباطِ باللهِ وبالنَّاسِ وَالمنعِ مِنَ السُّقوطِ

وأفادتِ الاستعارةُ كذلكَ الإيجازَ في الكلامِ، وإقامةَ الدَّليلِ على وجوبِ التَّمسُّكِ بالعَهدِ بسببِ الإشعارِ بِأَنَّه يفيدُ الارتباطَ باللهِ وبالنَّاسِ وَيمنعُ مِنَ السُّقوطِ.

دلالةُ الجملةِ الحاليَّةِ ﴿وَبَآءُو﴾:

لَمَّا كانَ الذُّلُّ؛ رُبَّما كانَ معَ الرِّضَا، ولو مِنْ وجهٍ قال:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/56.

﴿وَبَآءُو﴾؛ لِيفيدَ اقترانَ ذلِّهِمْ بهمْ بِما استحقُّوهُ مِنْ غضبٍ منَ اللهِ الملكِ الأعظمِ.

اجتماعُ الذُّلِّ وغضبِ اللهِ على اليهودِ

بلاغةُ الاستعارةِ التَّهكُّميَّةِ في قوله: ﴿وَبَآءُو﴾:

جاء الكلام على طريقةِ الاستعارةِ التَّهَكُّميَّةِ[1]، وبيانُه أنَّه لمّا أفادتْ كلمةُ ﴿وَبَآءُو﴾ معنى: الرُّجوعِ بالخَيبةِ والشَّرِّ والنُّزولِ في المنزلِ المُكافئِ؛ دلَّتِ الاستعارةُ على خَيبتِهمْ وخسرانِهم في رجوعِهم إلى المنزلِ المُكافئِ لهمْ، ولكنَّهُ منزلٌ ملتبِسٌ بغضبٍ عظيمٍ منَ اللهِ، فاستحقُّوه بعدَ أنْ ظنُّوا الفوزَ والفلاحَ في ما هم فيه؛ لتكونَ الخيبةُ أشدَّ على ما تفيدُه الاستعارةُ التَّهكُّميَّة.

دلالةُ تنكيرِ ﴿بِغَضَبٍ﴾:

التَّنكيرُ لِتهويلِ غضبِ اللهِ وتفخيمِه

أفادَ التَّنكيرُ تعظيمَ الغضبِ وتفخيمَهُ، ثُمَّ لمَّا قالَ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ دلَّ على ابتداءِ صدورِهِ مِنَ اللهِ؛ للإشعارِ بزيادةِ تهويلِه بأنَّهُ مِنَ اللهِ، وليسَ مِنْ غيرِه، وأنَّ هذا الغضبَ أعظمُ الغضبِ وأشدُّهُ؛ لاقترانِه بذكرِ الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهِ﴾.

بلاغةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾:

الاستعارة كنايةٌ عنْ كونِ الحاجةِ ملصَقَةً بهم لا تفارقُهم

جاء الكلامُ على الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ على وفقِ ما تقدَّمَ في بيانِ قولِه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾، فالاستعارة كنايةٌ عنْ كونِ الحاجةِ ملصَقَةً بهم لا تفارقُهم متمكِّنةً منهم، محيطةً بهم على الاستيعاب، كإحاطةِ القبَّةِ بِمَنْ ضُرِبَتْ عليه، وفي التَّعبيرِ بضربِ المسكنةِ عليهم إشعارٌ بغِنَى أهلِ الإيمان وعزِّهم.

مناسبةُ الوصلِ في قولِه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾:

اجتماعُ الذُّلِّ، والبوءِ بغضبٍ من اللهِ، والمسكنةِ إعراقٌ في الذِّلِّ

ولمَّا كانَ ضربُ الذِّلَّةِ والبوءُ بغضبٍ منَ اللهِ قد يصحبُهُما اليَسارُ والتَّنَعُّمُ والاكتفاءُ؛ ضربَت عليهمُ المَسْكَنَةُ، فهي ملصَقَة بهم لا تفارقُهُمْ؛ لِيكونوا بهذهِ الأوصافِ أعرقَ شيءٍ في الذُّلِّ[2].

(1) الراغب، المفردات، ص: 159.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/29.

نُكتةُ الإطلاقِ في ضربِ المسكنَةِ:

الحاجةُ إلى الآخر وضَعفُ الحالِ وفقرُ النَّفسِ لاتفارقُ اليهودَ البتَّةَ

فلمْ يستثنِ هنا، كما استثنَى في ضربِ الذِّلَّةِ عليهم؛ للإشارةِ إلى أنَّ الحاجةَ إلى الآخر وضَعفَ الحالِ وفقرَ النَّفسِ لاتفارقُ اليهودَ البتَّةَ، فلا يدفعونَ عنْ أنفسِهم شَرًّا يوقِعُهُ بهِ خصومُهمْ مِنْ غيرِ استعانةٍ بغيرِهم.

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيِّ في قولِه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟﴾:

الاستئنافُ البيانيُّ؛ لتشويقِ المتلقِّي، ولتكثيرِ المعنى بتقليلِ اللَّفظِ

جاءَ الكلامُ على طريقةِ الاستئنافِ البيانيِّ؛ لتشويقِ المتلقِّي، ولِتكثيرِ المعنى بتقليلِ اللَّفظِ؛ لِيتضمَّنَ الكلامُ إيجازًا، فبعدَ أنْ ذكرَ ما حَكَمَ بهِ عليهم من إلزامِهم ما ذُكِرَ، وهوَ أمرٌ عظيمٌ مثيرٌ، اشتملَ الكلامُ على سؤالٍ عن سببِ استحقاقِهم ذلك؟ فأغنى السَّائلَ عن السُّؤالِ، وأجاب بذكرِ سببِ الحكمِ المقنِعِ، وهو كفرُهمْ بآياتِ اللهِ وقتلُهمُ الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ.

نُكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

مناسبةُ السَّببِ لهولِ المسبَّبِ

أفادَ التَّعبيرُ بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ هولَ ما أُلزِمُوا بهِ، وللإيجازِ في ذكرِ اجتماعِ ذواتِهم وأوصافِهمُ المذكورةِ، ولمّا أفادَ اسمُ الإشارةِ هولَ ما حصلوا عليه؛ ناسبَ أنْ يكونَ السَّببُ عظيمًا مهولًا كذلكَ.

نِكاتٌ بلاغيَّةٌ في قولِه: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾:

الباءُ سببيَّةٌ، وتُشعرُ بمعنَى: المُلابَسةِ، بمَعنَى: بسببِ كُفرِهمْ ومُلابَستِهمْ لَهذا الكفرِ.

أفادتْ (أنَّ) تأكيدَ كُفرِهم وتقريرَهُ واستمرارَهم عليه.

ولمّا كانتِ الباءُ سببيَّةً؛ كانَ المعنى: (بسببِ كفرِهم)، ولمْ يعبِّر بهِ معَ أنَّهُ أخصرُ مِنْ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ لِمَا في هذا التَّركيبِ مِنَ الدَّلالةِ على أنَّهم جَمعوا بينَ الثَّباتِ على أَصلِ الكُفرِ بآياتِ اللهِ والدَّوامِ عليهِ وما تجدَّدَ منه؛ بسببِ اقترانِ الفعلِ المضارعِ ﴿يَكْفُرُونَ﴾ بـ (كانَ)[1]، ومثلُهُ الكلامُ على قولِه: ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 2/169.

دلالةُ الفعلِ المضارعِ ﴿يَكْفُرُونَ﴾ و﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ و﴿يَعْتَدُونَ﴾:

استمرارُ اليهودِ في الكفرِ والاعتداءِ

والتَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في ﴿يَكْفُرُونَ﴾ و﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ و﴿يَعْتَدُونَ﴾، للدَّلالةِ على تجدُّدِ هذهِ الأفعالِ منهم باستمرارٍ، ولاستحضارِ قبيحِ صُنعِهم، بتصويرِ الفعلِ في صورةِ الحالِ، ولمّا انقطعتِ النُّبوَّةُ بموتِ رسولِ اللهِ؛ دلَّ على استمرارِهم في الكفرِ والاعتداءِ.

مناسبةُ إسنادِ قتلِ الأنبياءِ لِأهلِ الكتابِ:

الرِّضا بالكفرِ والقتلِ والاعتداءِ في مقامِ الفاعلِ لها

وأسندَ قتلَ الأنبياءِ إليهم معَ أنَّهُ فعلُ أسلافِهم لِرضاهم بِهِ، كما أنَّ التَّحريف كان فعل أحبارهم لرضاهم به، واستمرارهم عليه عزمًا أو فعلًا، ولِلإشارةِ إلى أنَّهم كانوا يريدونَ قتلَ النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ لوصفِهم بقتلِ الأنبياءِ على سبيلِ التَّجدُّدِ في وقت تنزيلِ القرآن.

دلالةُ الحالِ في قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:

إفادةُ الحالِ تأكيدَ بطلانِ قتلِ الأنبياءِ، وأنَّه مسبَّبٌ عن عصيانِهم

أفادَ مجيءُ الحالِ ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أنَّ قتلَ الأنبياءِ لم يكنْ حقًّا بِحسبِ اعتقادِهم أيضًا، فيكونُ زيادةً في ذمِّهم والتَّشنيعِ عليهم؛ لِلإشارةِ إلى أنَّ قتلَهمُ الأنبياءَ مسبَّبٌ عنْ عصيانِهم واتِّباعِهمُ الهَوى، وليس عن اعتقادِهم أحقِّيَّةَ فعلِهم[1].

وأيضًا لمّا كانَ قتلُ الأنبياءِ لايكونُ إلَّا بغيرِ حقٍّ؛ أفادَ الحال تأكيدَ كونِهِ بغيرِ حقٍّ والمبالغة فيه، وصرَّح بالحالِ؛ لِتشنيعِ فعلِهم وتقبيحِهِ، وجاءَ بكلمةِ ﴿بِغَيْرِ﴾ المفيدةِ معنى المغايرةِ بينَ أمرين، فلمَّا كانَ قتلُهمُ الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ أفادَ أنَّهُ بالباطلِ؛ تأكيدًا وتقريرًا لكونِهِ بغيرِ حَقٍّ.

دلالة مجيء ﴿حَقٍّ﴾ نكرة:

إفادةُ التَّنكيرِ معنى العمومِ

لمّا كانَ مجيءُ النَّكرةِ في سياقِ النَّفيِ مُفيدًا العُمومَ؛ دلَّ على نفيِ كلِّ أنواعِ الحقِّ في قتلهم الأنبياء.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/33، والقونوي، حاشية على البيضاوي: 6/277.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ بينَ الاستئنافِ البيانيِّ والبَدَلِ:

تنـوُّعُ البيـانِ سعةٌ في البلاغةِ وتكثيرٌ للمعنى

يحتملُ أنْ يكونَ الكلامُ استئنافًا بيانيًّا؛ ليكونَ جوابَ سؤالٍ مقدَّر تقديره: لِمَ كفروا، واستمرُّوا على كُفرِهم وقتلِهمُ الأنبياءَ؟ فذكرَ السَّببَ العامَّ للحكم عليهم بما ذُكِرَ؛ تشويقًا للمتلقِّي وإيجازًا في الكلام بحذفِ السُّؤالِ المقدَّرِ، فيكونُ ذكر ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشعارًا بسببِ الكفرِ وقتلِ الأنبياءِ، فيكونُ مِنْ بابِ ذكرِ علَّةِ العلَّةِ، وهي في المآلِ علَّةٌ لضربِ الذِّلَّةِ وما نُسِقَ عليها.

ويحتملُ أَنْ يكونَ بدلَ اشتمالٍ من قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ﴾؛ لِكمالِ الاتِّصالِ بينهما؛ ليفيدَ مجموعُ البدلَين إيضاحَ سببِ ضربِ الذِّلَّةِ والبَوءِ بغضبِ اللهِ وضربِ المسكنَةِ، فيكونُ السَّببُ واحدًا على جهةِ التَّركيبِ مِنْ سببينِ زيادةً في البيانِ، وتنوُّعُ البيانِ سعةٌ في البلاغةِ وتكثيرٌ للمعنى.

نُكتَةُ مجيءِ ﴿عَصَواْ﴾ بصيغةِ الماضي:

الإصـــرارُ على الصَّغائرِ يُفضي إلى مـباشـرةِ الكبائرِ

فقد جاءتِ الأفعالُ ﴿يَكْفُرُونَ﴾، ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾، ﴿يَعْتَدُونَ﴾ بصيغةِ المضارعِ، وعبَّرَ عن العصيانِ بصيغةِ الماضي؛ لإفادةِ سبقِ عصيانِهمْ كلَّ ما فعلوه، وأنَّهم بسببِ عصيانِهم اعتدَوا، وكفروا، وقتلوا الأنبياءَ بغيرِ حَقٍّ؛ للإشارةِ إلى عدمِ الاستهانةِ بالمعصيةِ، فإنَّ الإصرارَ على الصَّغائرِ يُفضي إلى مباشرةِ الكبائرِ، والاستمرارَ على الكبائرِ يؤدِّي إلى الكُفرِ.

مناسبةُ حذفِ متعلَّقِ ﴿يَعْتَدُونَ﴾:

الاعـتـداءُ وصفٌ لازمٌ لليهودِ

فَلَمْ يُقُلْ: يعتدونَ على الأنبياءِ أَوْ على الكُتُبِ أَو على المؤمنينَ، فَحذفَ المتعلَّقَ؛ لإفادةِ عمومِ الاعتداءِ، وأنَّ الاعتداءَ صارَ وصفًا لازمًا لهم.

المتشابه اللَّفظي:

1 - ذكر الله تعالى هنا ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ بصيغة جمع التكسير؛ ليفيد التَّكثير نعيًا عليهم وتفظيعًا لشأنهم، فذكر في الموضعين، أعني: في البقرة وفي أوَّل السُّورة ما ينبىء عن القلَّة مع أنَّ ذلك موافق لما بعده من جموع السَّلامة كالَّذين والصَّابئين وغيرهما، ثُمَّ تدرَّج إلى ما هو نصٌّ في الكثرة في الموضعين الآخرين نعيًا عليهم وتفظيعًا لشأنهم، ولمثل هذا عرَّف الحقَّ في البقرة إشارة إلى الحقِّ الَّذي أذن الله أن تقتل النَّفس به، وهو قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151]، ثم نكَّر في المواضع الباقية، أي: بغير سبب ولا شبهة، فالقتل كان بسبب عصيانهم واتِّباعهم الهوى لا بحسب معتقدهم وتديُّنهم[1].

2 - جاء لفظ ﴿حَقٍّ﴾ هنا نكرة، وجاء في سورة أخرى (معرفة)؛ لأنَّه لمَّا كانت آية آل عمران الَّتي ذكر فيها ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في اليهود الَّذين كانوا في عصر تنزيل القرآن، وتكاثرت الأدلَّة على تماديهم في الكفر من بعد ما تبيَّن لهم الحقُّ؛ كان الأنسب أن يعبَّر عنهم أنَّهم ارتكبوه بغير شبهة ولا سبب يمكن التَّعلُّق به، فقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، كأنَّه مرادف لما لو قيل: بغير سبب ولا شبهة، وذلك أوغل في ذمِّهم وسوء حالهم؛ لأنَّهم لا يمكنهم في مرتكبهم تعلُّق بشيء البتَّة ولا أدنى شبهة، ولمَّا كانت الأولى في سورة البقرة إنَّما هي في سلفهم فيمن كان في عصر موسى عليه السلام جاء قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إشارة إلى الحقِّ الَّذي أذن الله أن تقتل النَّفس به، وهو قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151]، أي: بغير وجه الحقِّ المبيح للقتل، فالألف واللَّام للعهد في المسوَّغ المتقرَّر في شريعتهم، فقد افترق مقصد الآيتين، فاختلف التَّعبير في اللَّفظين[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الذُّلّ (بكسر الذَّال وضمِّها) والذِّلَّة:

لم يُفَرِّق المعجميُّون بين الذُّلِّ والذِّلَّة؛ فالذُّلُّ: ضِدُّ الْعِزِّ، وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ فِي التَّضَادِّ صَحِيحَةٌ، تَدُلُّ عَلَى الْحِكْمَةِ الَّتِي خُصَّتْ بِهَا الْعَرَبُ دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ؛ لِأَنَّ الْعِزَّ مِنَ الْعَزَازِ،

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/238.
(2) ابن الزبير، ملاك التأويل: 1/42.

وَهِيَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الشَّدِيدَةُ، وَالذُّلُّ خِلَافُ الصُّعُوبَةِ، وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: "بَعْضُ الذِّلِّ - بِكَسْرِ الذَّالِ - أَبْقَى لِلْأَهْلِ وَالْمَالِ"، يُقَالُ مِنْ هَذَا: دَابَّةٌ ذَلُولٌ، بَيِّنُ الذُّلِّ[1].

وقد علَّق ابن جني - رحمه الله - تعليقًا لطيفًا على قراءة ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: 24] بكسر الذَّال[2]، حيث قال: "الذِّلُّ في الدَّابة: ضدُّ الصُّعوبة، والذُّلُّ للإنسان، وهو ضدُّ العزِّ، وكأنَّهم اختاروا للفصل بينهما الضَّمَّة للإنسان والكسرة للدَّابَّة؛ لأنَّ ما يَلحق الإنسانَ أكبر قدرًا ممَّا يلحق الدَّابَّة، واختاروا الضَّمَّة لقوَّتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدَّابَّة، ولا تستنكر مثلَ هذا، ولا تنبُ عنه؛ فإنَّه من عَرَفَ؛ أَنِسَ، ومن جَهِلَ؛ استوحش"[3].

قُلْتُ: ومن ثَمَّ فإنَّهم زادوا التَّاء في مكسور الذَّال؛ ولم يزيدوها في مضمومها؛ لأنَّ وصفَ الإنسان به للمبالغة في الانقياد المصحوب بالقهر، ثُمَّ لحقته تاء المبالغة للتَّأكيد، فقالوا: (الذِّلَّة)، كما زادوها فيما دلَّ على المبالغة في نحو: (علَّامة، وفهَّامة، ونسَّابة) ونحو: راويَة ونابغة، ودِحْيَة بكسر الأوَّل، وأصلها: (دِحْي)، فِعْل بمعنى: فاعل، وفي الآخر تاء المبالغة، وهو من دَحَى الإبل وغيرها، أي: ساقها، ورجلٌ مجْذامة، أي: قاطعٌ للأمر، فاشتملت صفة (الذِّلَّة) على شكلين من المبالغة: الأوَّل: جعل ما للدَّابَّة من الذُّلِّ بكسر الذَّال للإنسان، والآخر: إلحاق تاء المبالغة في الصِّفة، وخُصَّت (الذِّلَّة) باليهود في القرآن الكريم في موضعيها:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١﴾ [البقرة: 61].

والموضع الآخر: قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾.

الذِّلَّة والمَسْكَنَة:

لمّا كانتِ الذِّلَّةُ منَ الهوانِ والصَّغارِ بعدَ عِزٍّ كانَ عليهِ؛ كانتِ الذِّلَّةُ هيَ الحالةَ التي

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذلل).

(2) نسبت إلى أبي بكر عن عاصم في رواية غير مشهورة، وابن عباس وعروة بن الزبير في جماعة غيرهما: (جَنَاحَ الذِّلِّ)، كما في الفراء، معاني القرآن: 2/122، وابن خالويه، المختصر، ص: 76.

(3) ابن جني، المحتسب: 2/18.

تَعْتَرِي الشَّخْصَ مِنْ سَلْبِ غَيْرِهِ لِحَقِّهِ وَهُوَ يَتَمَنَّاهُ، فَمَنْشَؤُهَا وَسَبَبُهَا غَيْرُهُ لَا نَفْسُهُ، ولمّا كانتِ المسْكنةُ مِنْ سُكونِ النَّفسِ وخضوعِها وفقرِها كانتِ الْمَسْكَنَةُ حَالَةً لِلشَّخْصِ مَنْشَؤُهَا اسْتِصْغَارُهُ لِنَفْسِهِ حَتَّى لَا يَدَّعِيَ لَهُ حَقًّا[1].

الذِّلَّة وَالصَّغَار:

الذِّلَّة عن عجز ووقوع تحت قهرٍ، لا فكاك منه، فهو ذهاب الشُّموخ، وهو ضَعف كذلك؛ لأنَّه رخاوة ونسيبٌ وعجزٌ عن التَّماسك.

والصَّاغر: الصَّغير قدره، والراضي بالذُّلِّ والضَّيم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التَّوبة: 29]، والصَّغار هُوَ الاعْتِرَاف بالذُّلِّ وَالْإِقْرَار بِهِ، إِظْهَارُ صِغَر الشَّأْن، وَفِي الْقُرْآن: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 124]؛ وَذَلِكَ أَنَّ العصاة بِالآخِرَة مُقِرُّون بالذُّلِّ معترفون بِهِ، وَيجوز أَن يكون ذليلٌ لَا يعْتَرف بالذُّلِّ[2].

وأُوثر لفظ ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾؛ لأنَّه أعمُّ، ولمناسبة الضَّرْب في قوله: ﴿ضُرِبَتۡ﴾، كأنَّ المعنى: نُصِبَتْ عليهم وحازتهم، وهو من ضرْب الخيمة، كما قال الرَّاغب[3].

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة: 1/18، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 249، ورضا، تفسير المنار: 4/57.
(2) العسكري، الفروق اللغويَّة: 249.
(3) الراغب، المفردات: (ضرب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»